

تفسير ابن كثير

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً^ج وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ^ق لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ

يقول تعالى : وكما أرسلناك ، يا محمد ، رسولا بشريا كذلك [قد] بعثنا المرسلين قبلك بشرا يأكلون الطعام ، ويمشون في الأسواق ويأتون الزوجات ، ويولد لهم ، وجعلنا لهم أزواجا وذرية ، وقد قال [الله] تعالى لأشرف الرسل وخاتمهم : (قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي) [الكهف : 110] . وفي الصحيحين : أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : " أما أنا فأصوم وأفطر ، وأقوم وأنام ، وأكل الدسم وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتي فليس مني " . وقال الإمام أحمد : حدثنا يزيد ، أنبأنا الحجاج بن أرطاة عن مكحول قال : قال أبو أيوب : قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : " أربع من سنن المرسلين : التعطر ، والنكاح ، والسواك ، والحناء " . وقد رواه أبو عيسى الترمذي ، عن سفيان بن وكيع عن حفص بن غياث ، عن الحجاج ، عن مكحول ، عن أبي الشمال عن أبي أيوب ... فذكره ، ثم قال : وهذا أصح من الحديث الذي لم يذكر فيه أبو الشمال . وقوله : (

وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله) أي : لم يكن يأتي قومه بخارق إلا إذا أذن له فيه ، ليس ذلك إليه ، بل إلى الله ، عز وجل ، يفعل ما يشاء ، ويحكم ما يريد . (لكل أجل كتاب) أي : لكل مدة مضروبة كتاب مكتوب بها ، وكل شيء عنده بمقدار ، (ألم تعلم أن الله يعلم ما في السماء والأرض إن ذلك في كتاب إن ذلك على الله يسير) [الحج : 70] . وكان الضحاك بن مزاحم يقول في قوله : (لكل أجل كتاب) أي : لكل كتاب أجل يعني لكل كتاب أنزله من السماء مدة مضروبة عند الله ومقدار معين ، فلهذا يمحو ما يشاء منها ويثبت ، يعني حتى نسخت كلها بالقرآن الذي أنزله الله على رسوله ، صلوات الله وسلامه عليه .